

ظاهرة الاغتراب الاجتماعي:

تمهيد:

لمصطلح الاغتراب استخدامات متعددة في التراث اللغوي، والفكري والسوسيولوجي، ورغم تعدد هذه الاستخدامات إلا أن ثمة علاقة قائمة تربط فيما بين مفهوم الاغتراب الذي يضرب بجذوره في أعماق التراث السوسيولوجي والاستخدامات الحديثة الشائعة لهذا المفهوم، ويدل على صحة هذا بافتراضات المنظرين للارتباطات المحتملة لمفهوم الاغتراب بالتلبد، والتسلطية، والمجاعة، والتعصب، والانسحابية والعصاب، والنكوصي، والانتحار، والهامشية... الخ.⁽¹⁾

1- مصطلح الاغتراب في التراث اللغوي:

شاع استخدام مصطلح الاغتراب *Aliénation* في اللغة الدراجة اليوم للدراسات الاجتماعية والنفسية وبصورة كبيرة في النقد الاجتماعي، وقد استخرج هذا المصطلح من كتابات هيجل وصلاح كترجمة لمصطلحين استخدمهما ماركس نقلا عن هيجل أولهما: مصطلح "Entausserung" وثانيهما مصطلح "Entfremdung" ويشير المصطلح الأول للجوانب الخارجية للذات على أن تكون هذه الجوانب الخارجية نتيجة لبيع عمل الإنسان، ويتضمن المصطلح الثاني الغربة أو انفصال ذات المرء ومن ثم نجد المعنى الأول يؤكد على معنى التشيؤ "Réification" والتي تعنى أن الفرد يعامل كموضوع ويتحول لشيء يفقد توحده في هذه العملية.

وفي اللغة المعاصرة يكون لا شخصيا. *Dépersonnalise* والمعنى الثاني يشير أساسا للحالة الاجتماعية والسيكولوجية، والتي تكون فيها خبرات الفرد مفعمة بإحساسه بالبعد أو الانفصال عن مجتمعه أو جماعته⁽²⁾.

وقد تم تمييز معنى اللاشخصي عن معنى الغربة سوسيولوجيا تميزا تاما في الدراسات الحديثة والمعاصرة لمفهوم الاغتراب⁽¹⁾.

(1) - إبراهيم زكرياء، معنى الاغتراب عند الانسان العربي المعاصر، مجلة العربي، عدد 194، الكويت، ص75.
(2) - سيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1993، ص 184.

والجدير بالذكر أنه حتى الآن يستخدم مصطلح الاغتراب في اللغة الانجليزية ليشير مباشرة لمضمون المصلح اللاتيني "Aliénation" وضمانياته. والثابت أن مصطلح الاغتراب ظهر في اللغة اللاتينية كترجمة لبعض المصطلحات الإغريقية، والتي تشير لحالة تحول الكائن خارج ذاته، وهذا الاغتراب لحالة الإنسان الذي تجاوز ذاته. ومن ثم عرف أفلاطون التأمل الحق بحالة الكائن الذي فقد وعيه بذاته فصار الأخر مغتربا عنها⁽²⁾، وبهذا يشير الاغتراب عند أفلاطون لحالة التجاوز. ومن ثم يقابل مصطلح الاغتراب في اللغة العربية مصطلح Alienation في الانجليزية، ومصطلح Aliénation بالفرنسية، وهذه الاستخدامات المعيارية قد وردت في القواميس الحديثة، وهي تشير في عموميتها على نحو ما لاحظ المهتمون بقضية اغتراب الإنسان في المجتمعات الحديثة والمعاصرة، إلا أن الأصل اللاتيني لمصطلح الاغتراب مشتق من الفعل Alinéaire والذي اشتق من الفعل Aliènes غير منتمي أو غير متطابق مع الآخرين وهو مشتق من مصطلح Alius ويعني (الأخر، كموضوع). والحقيقة أن الاستخدامات المعيارية لمصطلحي المغترب Aliéner والاغتراب Aliénation في اللغة الفرنسية هي عين الاستخدامات المعيارية لمصطلحي المغترب Aliénât والاغتراب Aliénation في اللغة الانجليزية⁽³⁾.

من ثم استخدام مصطلح الاغتراب في اللغة الانجليزية في القرن الثامن عشر للإشارة لاغتراب الشخص بالنسبة لملكية الأراضي والعقارات، وهذا الاستخدام قد ارتبط بالسياق القانوني منذ بداية استخدامه في اللغة الانجليزية.⁽¹⁾

(1) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص184.

(2) -النوري عيسى، الاغتراب اصطلاحا و مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، العدد 11، 1979، ص15.

(3) - المرجع نفسه، ص 16.

(1) - النوري عيسى، مرجع سابق، ص17.

وبالنسبة للاغتراب كتصنع ذهني فهو الاستخدام الكلاسيكي الثاني لمصطلح الاغتراب يستمد جذوره من الاستخدام اللاتيني. حيث استخدم في اللغة اللاتينية ليشير أيضا لعلاقته بحالة اللاوعي⁽²⁾.

وبذا يشير مصطلح الاغتراب للظاهرة النفسية الباثولوجية، والتي تعنى أن اعتلال الشخصية يتوقف على عدم تكاملها.

أما الاستخدام المعياري الآخر لمصطلح الاغتراب فيتناول اغتراب داخل الشخصية (أو الاغتراب الداخلي)، وهو مشتق من الاستخدام اللاتيني والذي يشير فعله لجعل العلاقة الدافئة مع الآخرين علاقة فاترة.

وقد ورد في المجلد الأول من قاموس أكسفورد⁽³⁾، أنه في افتقار للعواطف واستخدام مصطلح الاغتراب بوجه خاص للاستخدام الديني، وذلك ما توضحه الإشارة لارتداد الشعور، والعداوة، وعدم الارتباط، فكل من هذه المصطلحات تدل على اغتراب الشخصية حيث يغترب الشخص عن الآخر الذي كان يشعر بالتوحد معه.

وفي القاموس الحديث يعنى الاغتراب عدم الصداقة، أو اغتراب العواطف⁽⁴⁾ وغالبا ما نجد في بعض القواميس إشارة لواحد أو أكثر من هذه المعاني المشار إليها سلفا.

كما أن المصطلح استخدم في القاموس الألماني ليشير أيضا للاغتراب المتمثل في حالة الاعتلال الذهني، والذي يشير لغياب الوعي وتعطل الإدراك. كما أنه استخدم أيضا بنفس الدلالة المشار إليها للمصطلح الانجليزي والمتعلق بالاغتراب داخل الشخصية.

وإذا كانت هذه هي الخلفية اللغوية التي يمكن أن نصادفها في الاستخدامات المختلفة لمصطلح الاغتراب في اللغتين الفرنسية والانجليزية، فإنه لو أمعنا النظر في

(2) - المرجع نفسه، ص17.

(3) - د سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 187.

(4) - المرجع نفسه، ص188.

تراث اللغة العربية لتعرفنا على بعض جوانب هذه الاستخدامات المشار إليها في تراث اللغات الأجنبية، فاللغة العربية تزخر باستخدامات عديدة لمصطلح الاغتراب والشيء الملفت للنظر في هذه الاستخدامات، أنها تشير لقدر من الاتفاق فيما بينها وبين الاستخدامات المختلفة في تراث اللغات الأجنبية، خاصة في جوانبها المتعلقة بالانفصال وغربة النفس، والخضوع.

وفيما يتعلق باغتراب الانفصال نجده مستخدماً في إشارة القواميس العربية لارتباط حالة الانفصال بين الرجل والمرأة، بهذا المعنى في بعض جوانبه وجعله كناية عن طلاق المرأة⁽¹⁾، إذ أن الأديب العربي أبو حيان التوحيدي الذي أهتم بوصف حالة الغريب بمن هو نأى عن الوطن وغير منتمى لبنى جنسه وقصي عن المعهود⁽²⁾.
 إذن الاغتراب هو الحالة السيكو اجتماعية التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي.

2- مفهوم الاغتراب:

استخدم هذا المصطلح بدلالات مختلفة ظهر كثير منها بصورة تفتقر إلى التمييز بشدة، إلى حد أنه ليس من الواضح من هو ذلك الذي يفترض أنه مغترب، فهو من وجهة نظر دينية يظهر في أن "الأديان الثلاثة الكبرى: الإسلام والمسيحية واليهودية تلتقي على مفهوم أساسي واحد للاغتراب بمعنى الانفصال، انفصال الإنسان عن الله وانفصال الإنسان عن الطبيعة - الم لذات والشهوات- وانفصال الإنسان (المؤمن) عن الإنسان (غير المؤمن)، وأن المفهوم الديني للاغتراب عن الآخر وعن الطبيعة ينطوي على أن الاغتراب ظاهرة حتمية في الوجود الإنساني وحياة الإنسان على الأرض ما هي إلا غربة عن وطنه الأسمى، وطنه السماوي".⁽¹⁾

(1) - النوري عيسى، مرجع سابق، ص 45.

(2) - المرجع نفسه، ص 46.

(1) - عادل بن محمد بن محمد العقيلي، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي دراسة ميدانية على طلاب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 17.

أما وجهة النظر الفلسفية لهذا المصطلح فتكاد تنحصر بآراء الفيلسوفين هيغل وماركس، إذ أنهما رائدا البحث في هذا الموضوع على المستوى الفلسفي⁽²⁾، وقد حدد الوجوديون فكرة الاغتراب عند هيغل وماركس بنظرة شمولية واحدة تتجسد في أنه "انعكاس لتصدعات وانهايارات في العلاقة العضوية بين الإنسان وتجربته الوجودية الذات/الموضوع، الجزء/الكل، الفرد/المجتمع، الحاضر/المستقبل"⁽³⁾.

أما المنطلق النفسي والاجتماعي في تحديد مفهوم الاغتراب فقد كان يدور في إطار العزلة واللاجدوى، وانعدام المغزى الذي يشكل "نمطاً من التجربة يعيش الإنسان فيه كشيء غريب، ويصبح غريباً حتى عن نفسه"⁽⁴⁾، والمقصود بالاغتراب عن النفس هو افتقاد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالفخر والرضا، وبديهي أن اختفاء هذه المزايا من العمل الحديث يخلق شعوراً بالاغتراب عن النفس، ويمكننا وصف مفهوم الاغتراب بأنه صراع الإنسان مع أبعاد وجوده.

3- أبعاد الاغتراب:

3-1- البعد الحسي:

(2) - الأبراهيم فائقة يوسف، المشكلات السلوكية و الاغتراب، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 36، الكويت، ص20.

(3) - المرجع نفسه، ص22.

(4) - إبراهيم زكرياء، مرجع سابق، ص 120.

ويكون الصراع فيه مع القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتحديد موقفه التاريخي مما يدور حوله، ويكون مغترباً عن هذا الموقف لأنه لا يتحقق، فيبقى الإنسان مستهلكاً مسلوب الذات⁽¹⁾.

3-2- البعد القيمي:

وينتج الصراع فيه عن بحث الإنسان عن عالم المثل (المفقود) لأن الواقع الذي يعيش فيه يسحق شخصيته الإنسانية ويشوهها فيهرب إلى عالم الخيال، ويقترح للإنسانية أساساً روحياً بدلاً عن الأساس الواقعي لها، ويزداد الصراع في هذا البعد كلما ازداد وعي الإنسان بذاته، إذ يبدو له كل ما يحيط به ثقلاً عليه، وقيوداً يضيق بها ضرعاً ولا يخرج من ذلك تواصله أو علاقاته الاجتماعية، ومن هنا تأتي عزلته، ومن ثم اغترابه عن القيم الواعية التي تحيط به وتحكمه⁽²⁾.

3-3- البعد الميتافيزيقي:

ويتجلى الصراع في هذا البعد حين يدير الإنسان ظهره للواقع ويتجه إلى عالم الماورائي في محاولة منه لإدراك حقيقة وجوده وموقفه الكوني منه، وبما أن المعطيات الحسية غير كافية لفهم العالم الميتافيزيقي فإن الإنسان يظل في شك مستمر في كون الوجود الذي لم يتحقق.. هل هو وجود فعلي أم محتمل؟ ومن هنا يأتي اغترابه الكلي عن شرائط وجوده⁽³⁾.

4- المعاني المختلفة للاغتراب تبعا للإيديولوجيات المختلفة:

4-1- الاغتراب بمعنى الانفصال بين الذات والواقع (وحتى، أيضاً، شعور الإنسان باختلاف ذاته عن الآخرين)، وافتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما؛ ومن بعد انعدام الشعور بالقدرة على تبديل الواقع، ثم افتقاد القدرة على اكتشاف المغزى والعبرة القيمية من الحياة.

(1) - اسكندر نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الانسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988، ص 77.

(2) - المرجع نفسه، ص 78.

(3) - اسكندر نبيل رمزي، مرجع سابق، ص 79.

4-2- الاغتراب بمعنيتلاشي المعايير والعزلة النفسية عن المجتمع، ثقافياً وحياتياً؛

ومن بعدُ الاغتراب عن الذات. self-alienation.

4-3-أما الاغتراب لغوياً فهو يعبر عن حرمان الإنسان من أشياء يحبها، أو عن

ابتعاده عن شيء أو شخص يرغبه أو يحبه بطبيعته أو غريزته؛ وهو تعبير عن ضياع وافتقاد هذا الشيء.

5- استخدام هيجل لمفهوم الاغتراب(1770-1831):

بتحليل أعمال هيجل المتعلقة بمفهوم الاغتراب يتبين أن استخدامه للمفهوم ذات طابع مزدوج، وهو ذلك الاستخدام الذي يشير لسلب المعرفة، وسلب الحرية باعتبارهما بعدين أساسيين يقوم عليهما الفهم النسقي لمفهوم الاغتراب.

وقد كان هيجل أول من استخدم المفهوم بهذا المعنى المزدوج (في مؤلفه فينومينولوجيا الروح عام 1807)⁽¹⁾، وذلك عندما تحدث عن الوعي الشقي قائلاً: "عندما يكبح الوعي الذاتي ملاذه أو لا يبالي بها يكشف عن الحرية البسيطة لذاته". فالروح المغتراب هو الذي يكون وعيه ذات طبيعة منقسمة ومزدوجة ومجرد كائن متضاد.⁽²⁾

6- مظاهر الاغتراب عند هيجل:

أن اكتشاف هيجل للضرورة، والعقل الموضوعي، وفكرة خضوع الفرد للمجتمع عن طريق التشرب والاستيعاب والذي يأخذ بالفرد من عزلته لكي يطمس ذاته بالواقع الاجتماعي كل هذا يشير لنوعين من الاغتراب المتمثل في عملية السلب والتي تتم فيما بين الإرادة العامة والإرادة الخاصة، والتي تتحول بمقتضاها الإرادة العامة إلى إرادة خاصة، والخاصة إلى عامة.

(1) اسكر اميرة حسن، ظاهرة الاغتراب لدى طالبات كلية البنات بالمملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جدة 1989، ص

91.

(2) النوري عيسى، مرجع سابق، ص 89.

أما النوع الثاني من الاغتراب فهو اغتراب الانفصال، وأول نوع من أنواع الانفصال تتمثل في انفصال الذات عن العقل الموضوعي نتيجة لعدم وعيها به وتشربها له، وفي ذلك يؤكد هيجل أن المساييرة والمجارة الأولى للذات تشير إلى هذا النوع من الاغتراب وذلك لأن الذات وهي تجاري العقل الموضوعي لا تعي أنه يضم ذاتها الحقيقية، أما النوع الثاني من الانفصال فيتمثل في انفصال الروح الذاتي، وهو يشير هنا للحالة التي لا يتحقق فيها التوحيد بين الضرورة والذات، ويتصل بهذا النوع من الاغتراب أيضا الانفصال الذي ينبثق عن الخضوع، وذلك عندما لا تتعايش الذات والموضوع معا في الانسان⁽¹⁾.

وإذا كان الوجود الإنساني الصحيح هو في صميمه وجود اجتماعي على نحو ما ذهب هيجل والتاريخ البشري هو تاريخ الرغبات المرغوب فيها، وبالتالي فهو تاريخ صراع من أجل اعتراف الآخرين بحرية الذات واستقلالها، فإن هذا الصراع الذي يتحدث عنه هيجل على مستوى الشخصية، صراع من أجل إثبات الذات والحصول على اعتراف الآخر بالأنا، دون أن يكون في وسع الأنا إنكار حق الآخر في الوجود والبقاء لأنها استهدفت ذلك في تفاعلها ولن تستطيع أن تحصل منه على الإقرار والاعتراف الذي تبغيه⁽²⁾.

أما الاغتراب على المستوى الاجتماعي: فإن هيجل يهتم بالاغتراب عن الذات على مستوى الأسرة والمستوى السياسي، والمستوى الاقتصادي، وهيجل وهو بصدد تحليله لوضع الأسرة وعلاقته بالاغتراب، فإن الأسرة كانت متحققة بتمامها في الجماعة، وكانت الجماعة متحققة بتمامها في الأسرة، وهو بذلك يريد أن يقول أن الوعي الذاتي عندما يعمل تارة من أجل الدولة، وتارة أخرى من أجل الأسرة فإنه حينئذ يحقق فعلا جماعيا حيناً، وفعلا فرديا حيناً آخر دون أن ينجح في تحقيق أي امتزاج بين هذين

(1) -جيان بيار لوفيفر وبيار ماشيري، هيجل والمجتمع، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص33..

(2) - المرجع نفسه، ص 43.

الفعلين، ويعزو هيجل لهذا النمط من الصراع الكامن في الفعل القضاء على الفرد، وبالتالي القضاء على الجماعة نفسها في مجتمع المدينة القديمة وتحقيق اغتراب الخضوع، الذي يترتب عليه بالضرورة اغتراب الانفصال⁽¹⁾.

وإذا كان الخضوع يقوم على قمع الفرديات والتحكم في الاتجاهات الذاتية المتطرفة على المستوى الداخلي، أي القضاء على الفرديات الذاتية واستيعابها في وحدات شاملة جماعية أو في إمبراطورية واحدة شاملة على المستوى الخارجي، الأمر الذي يترتب عليه طمس الجماعة (الأسرة) وانضمامها لتكوين روحا موحدا هو روح الشعب⁽²⁾، ومن ثم يبدأ عمل اغتراب الانفصال الذاتي عن هذه الروح الكلية.

ومن ثم يحدد هيجل طبيعة العلاقة بين الوعي وكل من سلطة الدولة في جانب والثورة في جانب آخر⁽³⁾، فالوعي الذاتي ينظر إلى الدولة على أنها تمثل الوحدة المشتركة التي تنظم حياة الشعب بأسره وتكفل له التآزر وفقا لقانون الكل الشامل وبمقتضى نظام الحكم الجماعي الذي يسمح للفرد بأن يحقق ماهيته بتمامها في نظام هذا الكل العام، أما الثورة فإنها علي العكس من ذلك لا توفر للفرد إلا صورة عابرة من صور الوعي، كما أن متعتها زائلة، ويقتصر فيها علي استمتاع الفردية الجزئية الخاصة ومن ثم يري هيجل أن الخير وفقا لهذا النظام يعني الوحدة والمشاركة في الحياة السياسية، في حين أن الثورة لا تمثل سوي ذلك العامل الذي يفصل الأفراد بعضهم عن بعض ويولد فيهم التعارض⁽⁴⁾.

وخلاصة القول أن هيجل يشير إلى أنه إذا كان من الضروري للفرد أن يراعي النظم الاجتماعية وأن يتطابق معها، فإنه من الضروري لهذه النظم نفسها أن ترقى بنفسها إلى مستوى الشخصية أو مستوى الوعي الذاتي.

(1) - محمود رجب، الإغتراب أنواع، مجلة الفكر المعاصر، 1965، العدد 5، ص 24.

(2) - مايو التون، التصنيع والمشاكل الإنسانية، ترجمة دكتور محمد عماد الدين إسماعيل، دكتور أحمد بدران، القاهرة، مكتبة مصر، ص 142-

195

(3) - جيان بيار لوفيفر وبيار ماشيري، مرجع سابق، ص 94.

(4) - أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، القاهرة، دار القومية للطباعة والنشر 1965 ص 82 - 85.

وترجع محاولة هيجل لتوثيق العلاقة بين الثقافة والاغتراب عن الذات إلى سعيه لإبراز أهمية الكلي في عملية تربية الذات، فالشخصية الفردية عنده لا يمكن أن تهتدي لذاتها إذا أخرجت عن ذاتها وأصبحت غريبة عنها (ذاتها)، وقد تأثر هيجل في ذلك برؤيا روسو وغيره من فلاسفة القرن الثامن عشر لحالة الاغتراب الذاتي التي يستحيل معها أن تتمكن الذات الفردية من تحقيق التطابق بينها وبين نفسها إلا بالعودة إلى الطبيعة، وفي ضوء هذه الرؤيا "إذا كان التنظيم السياسي والاجتماعي لا يمثل جوهرًا خارجيًا غريبًا تمامًا عن الذات الفردية بل هو نفسه مظهرًا من مظاهر الثقافة فإن ذلك يرجع إلى أنه من خلق تلك الفرديات التي تغترب عن ذاتها محققة في الخارج صميم جوهرها الموضوعي".⁽¹⁾

ومن ثم يحمل مفهوم الثقافة عند هيجل معني واسعًا يمتد ليشمل كل ما ينتجه الإنسان ابتداءً من التقنية حتى الشعر بما في ذلك السياسة والدين والفلسفة، "أي أنه يشتمل على كل ظروف النشاط الذي يمارسه الفرد أثناء محاولته للتسامي بذاته إلى مستوى الكلي، عن طريق سلب ذاته أو الاغتراب عنها بغية اكتساب الوجود الفعلي"⁽²⁾. وفي ذلك يلخص هيجل قضية الاغتراب بمعنيها المتمثلين في الخضوع والانفصال إذ أنه ليس من شأن الآنية أن ترتد إلى ذاتها، اللهم من خلال هذا التمزق المطلق وكأن من الضروري للغربة نفسها أن تعود فتغترب عن ذاتها حتي يتسنى للكلي في خاتمة المطاف أن يسترجع ذاته على أساس من التوحد والتوازن في صميم الكل⁽³⁾.

7- الموقف النظري والتجريبي لتصور هيجل للاغتراب:

احتدم الجدل حول تفسيره لظاهرة الاغتراب وتعددت التفسيرات، لكن المهم في الأمر أن الحوار الفكري والمنهجي حول موضوع الاغتراب بعد تناول هيجل للمفهوم لم يهمل الفهم الهيجلي للمفهوم والتفسيرات التي قدمها لظاهرة الاغتراب، ومن ثم نجد أن

(1) - دكتور عاطف غيث، علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1963، ص45

(2) - المرجع نفسه، ص 48.

(3) - Faia, Michael, Alienation, Structural Strain and Palatial Deviancy., Attest of Marten's Hypothesis Social problems, 1967. Vol.14.N.4.p.405.

الاختلافات الفكرية التي أتت بعد تناول هيجل لا تنفصل من بعيد أو قريب عن استخدام هيجل، وأن بعض المفارقات التي طرأت على الاستخدام مرجعها في الأصل لطبيعة الانبثاقات الإيديولوجية ومدى اختلافها عن النسق الهيجلي، وعليه جاءت هذه الاستخدامات في عموميتها معلنة تلك الرابطة القوية بين فهم هيجل للاغتراب والمحاولات الفكرية والنهجية التي جدت في تراث الفكر الاغترابي⁽¹⁾.

8- الاتجاهات الكيفية العامة لدراسة الاغتراب:

8-1- تصور دوركايم للاغتراب (1858-1917):

اهتم دوركايم بقضية العلاقة بين الحرية والضرورة وهي نفس القضية التي اهتم بها هيجل من قبله، وعلق عليها بقوله: " أن فهم العلاقة بين الذات والموضع، هو

(1) - سيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1993، ص 205.

المدخل السليم لفهم العملية الاجتماعية للاغتراب⁽¹⁾. وقد ترتب على ذلك تعرض دوركايم لبعض القضايا المتعلقة بالاستنباط من ناحية، كما فعل بالنسبة لتقسيم العمل القسري، والفهم من ناحية أخرى، كما فعل بالنسبة لتقسيم العمل الأنومي لما في ذلك من أثر على تحرير الفرد ونفي اغترابه المرتبط بسلب المعرفة بالعقل الجمعي⁽²⁾.

ومن ثم ظهرت بعض جوانب الالتقاء والتأثر بينه وبين الفكر الهيجلي خاصة فيما يتعلق بظاهرة الاغتراب في المجتمع الصناعي الحديث، وفي ذلك أن الهدف الرئيسي الذي شغل دوركايم حتى عام 1897 هو أن يظهر أن الحضارة الصناعية وهي تمضي في تطورها السريع تعاني من مرض يطلق عليه الأنومي⁽³⁾، وقد ترجم مايو هذا المصطلح حرفيا على أنه فقدان المعايير، ويستطرد مايو في شرح ذلك بقوله أن الدعوة التي يركز عليها دوركايم هي: "أن المجتمع البسيط يعيش بنظام معين تخضع فيه مصالح أفرادها لمصالح المجموع"⁽⁴⁾ وهو بذلك يريد أن يفسر العلاقة بين الفرد والمجتمع، غير أنه لا يعني بهذا الخضوع أي شيء سياسي أو أخلاقي، ولكنه يشير لحقيقة أخرى تتمثل في أن الفرد الذي يولد كعضو في مجتمع يمكنه أن يرى أمامه المهمة التي سوف يضطلع بها ويحققها من أجل المجموع عندما يبلغ سن الرشد وعندما ينتظره هذا التوقع في المستقبل، ينظم تفكيره وأعماله في السنوات التي ينمو خلالها، وفي سن النضج يتبلور هذا كله في شعور الفرد بالارتياح عندما يعمل من أجل المجتمع، وعندما يشعر بأهميته بالنسبة له ومن ثم يشعر طوال حياته بالتضامن والتماسك مع الجماعة.

ومن ثم نجد أن اهتمام دوركايم بعزلة الإنسان الحديث عن المجتمع التقليدي يهيمن على كل أعماله، وذلك ما توضحه إشارات المستمرة لهذه القضية في مؤلفه الأول

(1) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 211.

(2) - العيسى جهينة سلطان سيف، الاغتراب بين الطلبة الجامعيين، مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جدة، العدد 11، ص 39.

(3) - مايو التون، التصنيع والمشاكل الإنسانية، مرجع سابق، ص 142-145.

(4) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 219.

" تقسيم العمل " وبحثه القيم حول الانتحار، فقد أشار للتضامن الاجتماعي، وهو الذي لا يرى فيه أي إهدار لقدرة الإنسان على نحو ما ذهب توكفيل، والذي أشار قبل دوركايم إلى عزلة الإنسان عن روابطه التقليدية باعتبارها مصدرا لاغترابه في المجتمع الحديث، غير أن دوركايم يشير إلى أن معنى الفردية في المجتمع الحديث يتجاوز أي حدود ممكنة. ورغم ذلك يربطهم جميعا في فهم الاغتراب خط فكري واحد ينبثق عن فهم هيجل للاغتراب، ويتمثل في المعرفة رغم تنوع صور هذه المعرفة وتعدد أبعادها التي اقترحها كلا منهم لتفسير العلاقة بين الحرية والضرورة، وهي المصادرة الأولى لتصور هيجل للعملية الاجتماعية للاغتراب⁽¹⁾، والجدير بالذكر أن دوركايم يرى أن اليأس والوحدة التي لا تحتل في التاريخ الحديث والتي يصاحبها خوف الذات واكتئابها وقلقها الزائد، تعد نتائج مباشرة للنزعة الفردية التي سادت التاريخ الحديث ومن ثم ترتبط نزعة التحديث عنده بإنهاك القوى لمعنى المجتمع الذي يستطيع وحده بلوغ الفردية، ويعزود دوركايم هذه النتيجة الرئيسية للتصنيع، والديمقراطية الجماهيرية والنزعة العلمانية⁽²⁾.

وقد عبر دوركايم عن اهتمامه بتلك القضايا في دراسات واقعية منظمة حول الظواهر الاجتماعية، في ضوء المبادئ النظرية التي بدأها في مؤلفه " تقسيم العمل الاجتماعي " والذي عرض فيه تضامن العمل الاجتماعي، وتطور تقسيم العمل في المجتمع، وما ترتب عليه في الحياة الاجتماعية عند الانتقال من صورة لأخرى⁽¹⁾. ورغم أن دوركايم قد اعتمد في تفسيره لظاهرة الاغتراب على ضعف المجتمع والذي يشير إلى أن الوقائع الاجتماعية ظواهر عامة تميز مجتمعا بأسره، وتمارس قهرا خارجيا على الأفراد، إلا أنه عدل موقفه النظري هذا فيما بعد عندما أشار إلى أن الوقائع الاجتماعية ليست خارجية بالضرورة بالنسبة للفرد، وإنما يمكن أن تكمن داخله في

(1) - النوري عيسى، مرجع سابق، ص 75.

(2) - المرجع نفسه، ص 76.

(1) - عاطف غيث، علم الاجتماع، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1963، ص 45.

صورة الشعور أو الضمير الجمعي، والذي يعتبره دوركايمالموجه القيمي العام في المجتمع الحديث⁽²⁾، في الوقت الذي لم يأت أي نظام جديد كبديل بنائي يمارس هذا الدور ويؤدي تلك الوظيفة، ومن ثم صاحب تصدع البناء الاجتماعي، تصدع في الشخصية والتي أصبحت تعاني من القلق والاكتئاب.

وذلك ما يوضحه تمييز دوركايم في مؤلفه تقسيم العمل بين نمطي التضامن الاجتماعي (الآلي، والعضوي)؛ فالأول هو ذلك الشكل من التضامن الذي ساد خلال غالبية تاريخ المجتمع البشري⁽³⁾، وهو الذي كان يقوم على الأخلاق والتجانس الاجتماعي، في حين أن الشكل الثاني للتضامن، والذي أسماه دوركايم بالتضامن العضوي، فإنه يقوم على مصادرة تقسيم العمل، وظهور التكنولوجيا، ومن ثم أصبح ظهور التكنولوجيا والفردية أمرا محتملا بعد تحلل الماضين، ومن ثم نجد في هذا النمط من التضامن الذي يسوده التجانس، أن السلوك الأخلاقي يجاري القواعد المنتظمة سلفا وفي ذلك يذهب دوركايم إلى أن تقسيم العمل البسيط يربط الأفراد بما أسماه التضامن الآلي، الذي يتميز بخضوع الأفراد لما عليه الرأي العام والتقاليد، كما أن المسؤولية في هذا النمط مسئولية جمعية، والمراكز تكون بالوراثة، وبتعدد المجتمع وتزايد حالة اللاتجانس يأخذ التضامن العضوي في الإحلال تدريجيا محل التضامن الآلي.⁽¹⁾

(2) - المرجع نفسه، ص 47.

(3) - أوسبورنروبين، تركيب العقل عند فرويد، ترجمة دكتور عاطف أحمد، الفكر المعاصر، 1971، عدد 709، ص 130.

(1) - عاطف غيث، مرجع سابق، ص 49.

8-2- تصور روبرت ميرتون للاغتراب:

استخدم روبرت ميرتون مصطلح الاغتراب لأول مرة، عندما تحدث عن هؤلاء الذين يجدون مصدر التفاوت بين قدر الفرد، والمكافآت الاجتماعية في بنائهم الاجتماعي، والذين قد يصيرون مغتربين عن ذلك البناء ويتكيفون مع نمط التمرد والثورة وهو النمط الخامس من أنماط الانحراف عنده، كما أن المصطلح ورد ثانية خلال حديثه عن الانسحاب، والذي يشير لرفض الأهداف الثقافية، والوسائل المنتظمة وتناوله لهؤلاء الذين يكونون مغتربين فعلا، ولا يشاركون في إطار القيم العامة⁽¹⁾.

(1) - سيد علي شتاء، مرجع سابق، ص 186.

وإذا كان هذا هو الاستخدام المباشر لمصطلح الاغتراب، فإن استخدام ميرتون لضمنيات مفهوم الاغتراب، إذ أن الفكرة المحورية تتعلق بمفهوم الاغتراب بمعناه الواسع، وقد ظهر هذا الاستخدام منذ عام 1938⁽²⁾، ثم ورد استخدام ميرتون لمصطلح الاغتراب للمرة الثانية عام 1946، في دراسته للاستهواء الجماهيري، عندما أشار إلى أن المجتمع الذي يولد الشعور بالاغتراب والغربة ينمي لدى الكثيرين الحنين لإعادة التأكيد والأمان، وهي الفكرة التي ربط فيها ميرتون بين الاغتراب ونسق التوازن، ثم ورد استخدام المصطلح للمرة الثالثة في مؤلفه النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي والذي صدر عام 1949، هذا فضلا عن ظهور تأكيد واضح من ميرتون على ضمنيات مفهوم الاغتراب.⁽³⁾

وهنا نجد أن ميرتون يؤكد على وجود خمسة أنماط لتكيفات الفرد لإنجاز الأهداف المؤكدة ثقافيا للنجاح لهؤلاء الذين يشغلون أوضاعا مختلفة في البناء الاجتماعي⁽⁴⁾، وأول هذه الأنماط المجارة، أما الأنماط الأخرى فهي تكيفات منحرفة تتمثل في: التجديد والابتكار، والطقوسية، والانسحاب، والتمرد والثورة، وميزان ميرتون لهذه الأنماط كما يلي⁽¹⁾:

تنميط أساليب تكيف الفرد		أسلوب التكيف
المعايير المنتظمة	الأهداف الثقافية	
+	+	المجارة
-	+	التجديد والابتكار
+	-	الطقوسية
-	-	الانسحاب

(2) - النوري عيسى، مرجع سابق، ص 78.

(3) - المرجع نفسه، ص 80.

(4) - حماد حسن محمد حسن، الاغتراب عند ابريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995، ص 105.

(1) - سيد علي شتاء، مرجع سابق، ص 184.

\pm^4	\pm	التمرد والثورة
---------	-------	----------------

3-8- تصور ماكس فيبر للاغتراب:

تضمنت أعمال ماكس فيبر إشارات ضمنية لمفهوم الاغتراب وأن كان لم يستخدم نفس مصطلح الاغتراب أو أي من مشتقاته.

وقد أشار ملفن سيمان لأعمال ماكس فيبر المتعلقة بالاغتراب تحت مفهوم فقدان السيطرة أخيراً، عندما أعتبر أن أعمال فيبر ما هي إلا امتداد أبعد من المجال الصناعي للفكرة الماركسية حول فقدان السيطرة، والتي تقوم في الأصل على فكرة سلب الحرية نتيجة السيطرة على العامل بواسطة الإدارة المنظمة والإجبارية للعمل، وهي نفس الفكرة

⁴ += تعني تقبل، - = تعني رفض + - = تعني رفض ما هو قائم والاستعاضة عنه ببديل.

التي عممها فيبر في مجالات أخرى غير المجال الصناعي، الذي أهتم ماركس بتحليل هذه القضية في إطاره.⁽¹⁾

وإذا كان ماركس قد اهتم بقضية الانفصال خلال الخضوع مركزا اهتمامه على ملكية وسائل الإنتاج وما يترتب على ذلك من مغبة انفصال العامل عن هذه الوسائل فإن ماركس فيبر قد اهتم أيضا بالانفصال خلال الخضوع مركزا اهتمامه على تزايد تمركز وسائل الإدارة وانفصال العامل عنها، ومن ثم يتفق ماركس فيما يتعلق بسلب حرية العامل نتيجة لانفصاله خلال الخضوع، سواء كان هذا الخضوع نتيجة لتركيز وسائل الإنتاج في أيدي السيد، أو تركيز الإدارة، والذي يحدث في التنظيمات العامة ولا يقتصر في نظر فيبر على المشروع الرأسمالي ولكنه يشمل التنظيمات العامة⁽²⁾.

ومن ثم وجه نقد ماركس فيبر للنزعة الرأسمالية التي اعتبرها ظاهرة حديثة شديدة التعقيد، ومتسمة بالعقلانية العالية، التي عمت جميع مظاهر الحياة في النسق الاقتصادي والاجتماعي الحديث.

4-8- تصور فرويد للاغتراب 1856-1939:

يتضح من تحليل أعمال فرويد أنه كان مهتما بمفهوم اللاوعي وما يمارسه من سلب للوعي، وقد ظهرت بذور هذا الاهتمام على هذا النحو منذ اهتمامه بالبحث في أسباب الهستيريا وطرق علاجها في الدراسات التي أنجزها منذ عام 1893. وتعتبر أعمال فرويد هذه نقطة تحول هامة في تاريخ علاج الأمراض العقلية والنفسية، فقد أشار فيها فرويد إلى أهمية الدور الذي تلعبه الحياة العاطفية في الصحة العقلية كما أنه بين ضرورة التمييز بين الحالات العقلية الشعورية، وبين الحالات العقلية اللاشعورية، وأشار إلى أن أعراض الهستيريا تنشأ عن كبت الميول والرغبات فتنحول

(1) - دكتور عاطف غيث، مرجع سابق، ص 195.

(2) - مايو التون، مرجع سابق، ص 217.

تحت تأثير هذا الكبت عن طريقها الطبيعي، وتتخذ لها منفذا عن طرق شاذة وغير طبيعية تتمثل في الأعراض الهستيرية، وفي ذلك يرى فرويد أن الانحلال العقلي يحدث نتيجة صراع الميول وتصادم الرغبات، كما أنه اعتبر الأعراض الهستيرية أعراضا دفاعية نشأت تحت ضغط الدوافع المكبوتة في اللاشعور، والتي تحاول التنفيس عن نفسها بطرق غير طبيعية.⁽¹⁾

وثمة نقطة أخرى اهتم بها فرويد وهي علاقة اضطرابات الغريزة الجنسية بالأمراض العصبية، وإن كان يرى أن الأمراض العصبية عبارة عن محاولات غير ناضجة للتكيف مع الواقع، وأن الذكريات المكبوتة في اللاشعور تلعب دورا هاما في تكوين العصاب.

إلا أن فرويد يذهب إلى أن هذه الذكريات المكبوتة متصلة بالرغبات الجنسية الطفلية، في حين أن يونج يرى أنها تتعلق بجميع مشاكل الإنسان التي لم تحل. وقد تمكن فرويد باستخدام طريقة التداعي الحر (Free Association) من الاهتمام إلى حقائق هامة تمثلت في⁽²⁾:

1-4-8- اغتراب الشعور(الوعي):

إذا بدأت الأسباب التي تجعل تذكر بعض الحوادث والتجارب الشخصية الماضية أمرا صعبا، وذلك لأنه رأى أن معظم هذه التجارب مؤلم أو مشين للنفس، ومن ثم بدا لفرويد أن سبب نسيانها هو أنها مؤلمة أو مشينة، ومن أجل هذا كان إعادتها إلى الذاكرة أمرا شاقا يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة R sistance الشديدة التي كانت تحول دون ظهور هذه الذكريات إلى الشعور، والمقاومة هنا مظهر من مظاهر اغتراب الشعور عند فرويد⁽¹⁾.

(1) - فرويد سيجمند، معالم التحليل النفسي، (ترجمة الدكتور عثمان نجاتي)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص36.

(2) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص198.

(1) - أوسبورن روبين، مرجع سابق، ص 193.

والشيء الهام في ذلك أن فرويد وهو بصدد الحديث عن اغتراب الوعي كشف عن قضية هامة تتمثل في سلب المعرفة، إذ أن الوعي يغترب عن حقيقة التجارب الشخصية والحوادث الماضية نتيجة لسلب حرية اللاشعور من التداعي الحر، وقد فسّر فرويد عملية الكبت تلك بما يحدث من صراع رغبتين متضادتين، ومن ثم ذكر نوعين من الصراع بين الرغبات، يحدث أحدهما في دائرة الشعور وينتهي بحكم النفس في صالح إحدى الرغبتين، والتخلي عن الأخرى، ولا ينتج عن هذا الحكم اغتراب للنفس وإنما يقع الضرر من النوع الثاني من الصراع الذي تلجأ فيه النفس بمجرد حدوث الصراع إلى صد إحدى الرغبتين عن الشعور وكبتها دون أعمال الفكر في هذا الصراع وإصدار حكمها فيه، وهنا وبالتحديد ينتج اغتراب الوعي عن الخبرة الماضية نتيجة لعملية الصد تلك⁽²⁾.

8-4-2- اغتراب اللاشعور (اللاوعي):

وفيما يتعلق باغتراب اللاشعور فإن الرغبة المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور، وتبقى هناك محتفظة بطاقتها، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، وطالما أن عوامل القمع والكبت مازالت قائمة فإن اللاشعور يظل مغتربا عن اللاشعور، وباستمرار حالة اغتراب الانفصال تلك وشدة إلحاح الرغبة المكبوتة في اللاشعور تظهر الأعراض المرضية التي تنتاب المصابين⁽¹⁾.

8-4-3- اغتراب الهوا، الأنا، الأنا الأعلى:

وهذه المفاهيم هي: الهوا Id، والأنا Ego، والأنا الأعلى Super ego، وقد عرف فرويد هذه المفاهيم الأخيرة وهو بصدد الحديث عن نشوء الفرد، بحيث يحوي (الهوا) كل ما هو موروث، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهذا (الهوا) يحوي كذلك الغرائز التي تبعث من البدن، والتي تجد أول تعبير عقلي لها في الهوا، والذي يقابله العالم الخارجي⁽²⁾.

(2) - فرويد سيجمند، مرجع سابق، ص 194.

(1) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 89.

(2) - سيجمند فرويد، مرجع سابق، ص 50-45.

أما عن نشوء " الأنا " ويقصد به أعضاء الحس فقد نشأ لاستقبال المنبهات وهو مزود بجهاز للوقاية من التنبيه المفرط، ومن ثم يعمل كوسيط بين الهو والعالم الخارجي، وبذلك يقوم الأنا في رأي فرويد بسلطة الإشراف على الحركة الإرادية، كما أنه يقوم بمهمة حفظ الذات من المنبهات المفرطة عن طريق الهرب وبالتصرف في المنبهات المعتدلة عن طريق التكتيف.

ويترتب على أداء الأنا لوظائفه التي تعبر عن سلب حرية الهو ظهور التوترات التي تحدثها المنبهات الموجودة به، أو التي تطراً عليه، وبزيادة التوترات يزداد الإحساس بالألم، ومن ثم يقابل توقع حدوث الألم هذا بإعلان القلق، وهنا يكون الأنا واقعا تحت ضغط ثلاثة قوى أولها الهوا وثانيهما سلطة الماضي (الأنا الأعلى) وثالثها ضغط الواقع، أما عن سلطة الماضي فإن فرويد يتخذ من طول فترة اعتماد الطفل على والديه، وإطالة مدة سلطة الوالدين على الطفل مثالا لها، وفي لك يقول: " أن مدة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل الناشئ معتمدا على والديه تخلف أثرا يكون في أن الطفل عاملا خاصا يعمل على إطالة سلطة الوالدين"⁽¹⁾، وقد أطلق فرويد على هذا العامل " الأنا الأعلى " وهو ذلك القسم من النفس الذي يمثل سلطة الوالدين والمجتمع وهو ما يعرف عادة بالضمير، وبذلك يكون الأنا الأعلى عند فرويد متميزا عن الأنا أو معارضا له، وهو يعمل كقوة ثالثة يجب على الأنا في نظره أن يعمل حسابها⁽²⁾ والجدير بالذكر هنا أن نفوذ الوالدين ليس قاصرا على شخصية الوالدين فحسب بل يشمل أيضا ما ينقله الوالدين من تقاليد خاصة بالسلالة، والأمة، والأسرة، والدين، كما أنه يشتمل أيضا على رغبات الوسط الاجتماعي المباشر الذي يمثله الوالدين، وهنا يشير فرويد إلى أن الأنا الأعلى للفرد يتأثر أثناء نموه بالأشخاص الذين يخلفون الوالدين ويحلون محلهم فيما بعد مثل المدرسين، والمثل الاجتماعية العليا.. إلخ.

(1) - سجمند فرويد، مرجع سابق ، ص 49.
(2) - أوسبورن، روبين، مرجع سابق، ص 124.

وبازدياد سلطة الماضي بنوعها يحدث اغتراب الفرد عن الواقع الاجتماعي وهذه القضية هي الركيزة الأساسية التي يدور حولها فهم فرويد لعدم افتتان الفرد بالمدينة. ومن ثم نستطيع تعيين أبعاد الاغتراب في تصور فرويد بتحليل سلب الحرية من ناحية، وسلب المعرفة من ناحية أخرى، أو بعبارة أخرى بتحليل الانفصال خلال الخضوع من ناحية، والخضوع خلال الانفصال من ناحية أخرى⁽³⁾.

أما عن سلب الحرية فهي ذات بعدين يتمثلان في عملية السلب القائمة بين الأنا وسلطة الماضي من ناحية، والأنا وسلطة الماضي من ناحية، والأنا والواقع من ناحية أخرى، فسلب حرية الهو تعني أن الأنا يقع تحت ضغط الأنا الأعلى والواقع الاجتماعي، أي أن سلطة الماضي تمارس ضغطاً قوياً عليه من ناحية ويزداد افتتانه بالواقع من ناحية أخرى، ومن ثم يقوم الأنا بوظائفه السالبة للهوا والمشار إليها سلفاً الأمر الذي يترتب عليه تكثيف التوترات الداخلية وإعلان حالة القلق، وهذه هي أول مظاهر الاغتراب الناتجة عن علاقة الأنا بالهو والتي تمثل بالضرورة اغتراب الهوا ذاته⁽¹⁾.

أما عن اغتراب الأنا فهي ذات بعدين أولهما مرتبط بسلب حريته في إصدار حكمه فيما يتعلق بالسماح للرغبات الفردية بالإشباع من ناحية وسلب معرفته بالواقع وسلطة الماضي في حالة السماح لهذه الرغبات بالإشباع من ناحية أخرى.

ومن ثم يكون الأنا في وضع معترب دائماً سواء في علاقته بالهو أو الأنا الأعلى، والواقع أن اغترابه هنا يجمع بين الخضوع والانفصال في أي من حالات اغترابه، فإذا خضع للأنا الأعلى والواقع ينفصل عن الهو ويكون انفصاله خلال الخضوع، وإذا انفصل عن الأنا الأعلى والواقع فإنه يخضع للهو والعكس صحيح⁽²⁾.

وفيما يتعلق باغتراب الواقع عن الأنا فهو نتيجة مباشرة لزيادة سلطة كل من الهو والأنا الأعلى على أنا الفرد بالقدر الذي يجعله غير راغب في الواقع وغير مفتن به ومن

(3) - سجمند فرويد، مرجع سابق، ص 51.
(1) - أوسبورن، روبين، مرجع سابق، ص 133.
(2) - المرجع نفسه، ص 135.

ثم يعجز عن المجاراة والتوحد، وهنا تظهر أعراض الانحراف النفسي عن المعايير المنتظمة والتي تجيزها الحضارة التي يعيش الفرد في سياقها، وهذا هو الجانب الايجابي لاغتراب الواقع فإنه يتمثل في التوحد والمسايرة الأتوماتكية نتيجة لغياب الفهم وفقدان أنا الفرد للسيطرة على هذا الواقع الذي يسلبه حرية الإرادة، وهنا يكون سلب الحرية نتيجة مباشرة لسلب الفهم والمعرفة بهذا الواقع.

وساعد تصور فرويد للاغتراب على تجاوز تحليل ماركس لأزمة المجتمعات المعاصرة والذي اعتمد فيه على الجانب الاقتصادي فحسب⁽³⁾.

5-8- تصور ماركس للاغتراب (1818-1883):

القضايا الأساسية التي طرحها ماركس عندما ناقش مفهوم الاغتراب، فقد بدأ اغتراب العمال عنده في صورتين: الاغتراب عن ناتج العمل، واغتراب العمال عن العمل نفسه وبتعبير آخر لا ينتمي الإنتاج للعامل، كما أن العمل نفسه لا ينتمي لماهيته الإنسانية، ومن ثم فإن ماركس يؤكد على أن الإنسان لم يعد يشعر بحريته في أفعاله المتعلقة بالعمل، وعملية الإنتاج.

وعليه يذهب ماركس إلى أن نفي الاغتراب في المجتمع يتوقف على تغيير البناء الاجتماعي لهذا المجتمع⁽¹⁾.

والجدير بالذكر في هذا الشأن أن هيكلية ماركس قد جعلته يتفق مع هيجل فيما يتعلق برؤيته لقهر الصراع الظاهري بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون.

وقد شغل ماركس نفسه كثيرا بحرية الإنسان وحرية المجتمع ثم بدأ ابتداء من عام 1844 فصاعدا يهتم بالتطورات التي يمكن أن تظهر بها تلك الحرية وتتحقق، ومن أجل

(3) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص193.

(1) - خليل بكري محمد، الفكر القومي بين الاغتراب و التاريخية، مجلة الموارد، العدد 11، مارس 2003، القاهرة، ص11.

هذا أنصب اهتمامه في مخطوطات 1844 حول تحليل الظروف التي يترتب عليها اغتراب الإنسان عن الطبيعة في المجتمع.

وقد كان استخدام ماركس لمفهوم الاغتراب في مخطوطات 1844 وأعماله الفلسفية الأولى التي لم تنشر، ذات معنى مزدوج، يشير أولهما لجوانب تخرج الذات للإنتاج يظل موضوعا مستقلا عن ذات المرء، كما يتضمن المعنى الثاني للاغتراب انفصال الذات عن الآخر، وذلك يعنى بصورة عامة أن انفصال العامل عن العمل ونتاج العمل يتم خلال خضوعه وفقدان الحرية في ظروف العلاقات الاجتماعية التي تسم الإنتاج في النسق الرأسمالي، وهو فييتيشية السلع⁽²⁾، وهو واضح في فكرة التشيؤ فالناس يشتركون السلع والأشياء دون أن يتحققوا من أن كل سلعة مطمور فيها العمل ولا يدركون التنظيم الاجتماعي المطلوب لإنتاج وتوزيع المنتجات، إذ يخفى تبادل المنتجات في السوق، العلاقات الاجتماعية،(التي صارت بسببها الروابط الشخصية غير شخصية)، والعمل معا في إنتاج السلع، وفي بيع قوة عمله الخاص، يصيران الآن موضوعا⁽¹⁾.

وماركس هنا ينظر للاغتراب باعتباره العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته، التي تحولت وصارت تبدو متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي، وهو يشير هنا لوظيفة الاغتراب بالنسبة لطبقة البلوريتاريا، والتي تشعر بذاتها مسحوقة بواسطة الاغتراب الذاتي؛ ومن ثم ترى فيها أهميتها الخاصة وحقيقة وضعها اللإنساني وهنا يذهب ماركس إلى أن إنتاج السلع لا يحول العلاقات الاجتماعية للأفراد إلى السلع (أشياء) فحسب، بل يحول العلاقات المتداخلة لإنتاجهم إلى شيء أيضا⁽²⁾.

ويرجع ماركس حالات الاغتراب تلك إلى أن كل استعباد للإنسان متضمن في علاقة العامل بالإنتاج، والآن، كل العلاقات العبودية ما هي إلا نتائج لهذه العلاقة.

(2) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 156.

(1) - مايو التون، مرجع سابق، ص 203.

(2) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 215.

ورغم ما لهذا المفهوم من أهمية قصوى في تعيين الجانب الأخلاقي في فكر ماركس إلا أن ماركس لم يتمسك باستخدام مفهوم العمل المغترب كثيرا.⁽³⁾ ومن ثم يتضح مدى انشغال ماركس بقضية حرية الأفراد، وحرية المجتمع، وما ذهب إليه من أن الحرية الفردية للإنسان، توطد روابطه بالمجتمع، كما أنها تكيف من جانب التنظيم الاجتماعي للمجتمع للمطالب الفردية للإنسان الاجتماعي.

وبذلك يكون جوهر الحرية عنده هو أن ينظم المنتجون علاقاتهم المتبادلة مع الطبيعة بصورة معقولة بحيث يخضعونها لسيطرتهم المشتركة، ومن ثم كان الشرط الأساسي للتخلص من الاغتراب هو القضاء على التقسيم العدائي للعمل والملكية الخاصة للإنتاج. كما أن التغلب على بقايا الاغتراب السابق أو نتائجه، وبالتالي تحرير الإنسان من الاستغلال لا يعنى استعادته لكيونته الاجتماعية التي اغترب عنها في ظروف المجتمع الرأسمالي⁽¹⁾، وإنما يقتضى تحقيق المجتمع لذلك: تحقيق وفرة ثقافية ومادية للمجتمع بأسره، واستئصال بقايا تقسيم العمل، والتخلص من العنصر الإجباري في العمل وأشكاله المنتظمة، والسيطرة على الاستهلاك، والإنتاج بواسطة المجتمع بأسره، ومن ثم كانت الثورة الاشتراكية جوهر النظرية الماركسية⁽²⁾.

ولما كانت الملكية الخاصة منتجا في حد ذاتها، وذلك لأنها النتيجة التي تترتب بالضرورة على العمل المغترب وجوانبه الأساسية التي حددها ماركس على النحو التالي اغتراب العامل المنتج عن ناتج عمله الذي يتعارض معه كشيء مغترب وكالقوى التي لا تعتمد على العامل الذي ينتجها، بقدر ما تسيطر عليه وتستعيد.

- اغتراب العامل (المنتج) عن ماهية العمل ذاته كنشاط لا ينتمي إليه والاغتراب عن الطاقات الروحية، الذي فحواه أنه كلما زاد العمل قوة زاد العامل ضعفا، وكلما تعقدت ظروف العمل وزادت دقته تزايد ما يلحق بالعامل من ضعف عقلي،

(3)- المرجع نفسه، ص 217.

(1)- العيسى جهينة، مرجع سابق، ص 122.

(2)- إبراهيم زكرياء، مرجع سابق، ص 90.

واستعباد واستغلال حسب الظروف التي يخضع لها العامل في ظروف هذا العمل الذي يسلبه حريته وملكاته الخاصة⁽³⁾.

- اغتراب الإنسان عن الإنسان، وذلك لأنه النتيجة المباشرة لاغتراب الإنسان عن ما ينتجه وعن نشاطه، وعن ما هيته الفعلية هي اغتراب الإنسان عن الإنسان، وذلك ما أوضحه ماركس وانجلز عند تحليلهما لتلك القوى الغريبة التي تسيطر على الإنسان فتحتل في الإنسان نفسه، وهو الإنسان الآخر الذي تؤول إليه قوة عمل المنتج وناتج عمله⁽⁴⁾، وهذا الآخر هو الإنسان المالك والمستغل، ومن ثم يكون فعل الإنتاج الذي يتم خلال اغتراب العمل نتاج علاقات الاستغلال التي تتم بين إنسان وإنسان، وهي بعينها العلاقات التي تفضى لهذا الاغتراب.

(3) - النوري عيسى، مرجع سابق، ص 69.
(4) - اسكندر نبيل رمزي، مرجع سابق، ص 105.

8-6- تصور بارسونز للاغتراب (1902):

بتحليل أعمال بارسونز نجده يؤكد على الجانب المعياري في الحياة الاجتماعية وأن المجتمع عنده ما هو إلا نظام أخلاقي، فبارسونز يؤكد على فاعلية المعايير الأخلاقية في الفعل الاجتماعي، وبارسونز يحاول أن يعالج المعايير الأخلاقية بصورة مغايرة تماما لما هو عند الوضعيين، وذلك لأنه أكد على دلالتها الخارجية وإلزامها للفرد في جانب، واعتبرها كأسس للاختيار وتكامل الفعل في الجانب الآخر، وهو بذلك وبتأكيد على تعيين معايير السلوك قبلا بواسطة المعايير الأخلاقية يذهب باقتناع إلى أن لا شيء آخر أكثر فاعلية من المعايير الأخلاقية في توجيه الفعل⁽¹⁾.

ومن ثم يثير بارسونز قضية فحواها أن الاختلاف الصريح والواضح بين ما يبحث عنه الناس، وما يسعون لأدائه، لا ينظر إليه كشيء في حاجة لعلاج، ولكن كوجود حسن وفعال، ودليل على حرية الإنسان، وإذا كان بارسونز يذهب إلى أن اغتراب الإنسان ثمنا لحرية فهو هنا يشير لانفصال الفرد عن ذاته واعتماد ما يريده على المعايير الأخلاقية التي تعين قبلا أنماط سلوكه، وعليه يذهب بارسونز إلى أنه بمدى

(1) - اسكندر نبيل رمزي ، مرجع سابق، ص 65.

حصول الناس على ما يسعون إليه يكون الوجود الاجتماعي قابل للتنبؤ، وقابل للسيطرة، والاعتراب إذن هو أننا نعيش حياتنا كوسائل وأننا لا نعيش من أجل أنفسنا⁽²⁾.

وتعد التنشئة الاجتماعية في نظر بارسونز مصدرا للإنسانية الإنسان، وهي الوسيلة التي تجعل الإنسان مجرد أداة أو وسيلة للسعي لغايات الآخرين، ولهذا يغترب الإنسان في نظره خلال عملية الصيرورة البشرية.

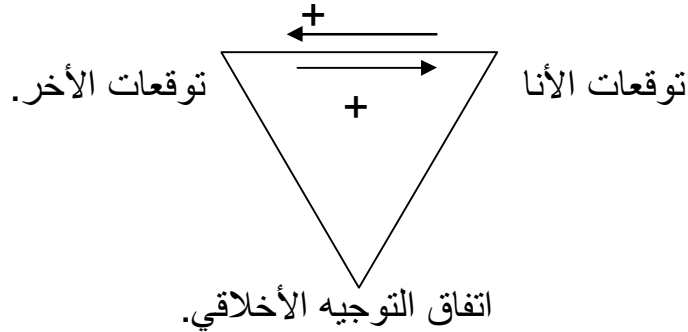
ومن ثم يؤكد بارسونز على الوظيفة الإيجابية للاغتراب بقوله " يجب أن يكون عنصر الاغتراب قويا بالقدر الكافي لتحريك الانعزال عن الأنماط القديمة "⁽¹⁾.

ومن ثم يتضح اعتقاد بارسونز بأن تحقيق التكامل بين أنساق الشخصية والأنساق الثقافية داخل النسق الاجتماعي يرتكز على مفهوم نسق القيمة المحوري، أو التوجيهات العامة للفعل، وذلك لأن الفعل الاجتماعي هو سلوك ينطوي على توجيه قيمى، كما أن نمط هذا السلوك يتحدد من خلال المعايير الثقافية أو السنن الاجتماعية والمجتمع بهذا المعنى نظام أخلاقي، أي أنه مرتكز على معايير ذات جزاء أخلاقي ومن هنا تشير التوجيهات القيمة إلى مراعاة بعض المعايير أو المستويات الاجتماعية على خلاف الاحتياجات التي تمثل بؤرة التوجيهات الدافعية، والتي تشير للميول المغتربة⁽²⁾.

وعند هذا الحد يذهب بارسونز إلى أن نسق القيمة يمكننا من تحديد علاقات الدور الذي يسمح للفرد بدوره بتطوير توقعات مستمرة عن سلوك الآخرين، كما يمكن الأفراد الآخرين من أداء دورهم، ومن ثم يصبح من الممكن التنبؤ بالسلوك، وأن الواقع الاجتماعي هو واقع أخلاقي فإنه يربط هنا بين إمكانية الانجاز للأهداف، وإمكانية التنبؤ بالسلوك، عندما يكون التوجيه الأخلاقي للأنا والآخر مشتركا، بحيث يكون لدى كل

(2)-إبراهيم زكرياء، مرجع سابق، ص122.
 (1)-إبراهيم زكرياء، مرجع سابق، ص 123.
 (2)-النوري عيسى، مرجع سابق، ص 99.

منهما توقعات متطورة، تهتم بمجاراة توقعات الآخر باعتبارها توقعات صالحة ومشروعة وذلك ما يوضحه الشكل التالي⁽³⁾:



وبارسونز يشير هنا لاستيعاب الأنا والآخر لنمط القيمة، الأمر الذي يؤدي لتكامل التوقعات حيث تجاري سلوك واتجاهات الآخر وتوقعات الأنا والعكس بالعكس ومن ثم يكون التبدل الاجتماعي التمرد والثورة والانسحاب بمثابة مظاهر للسلوك المغترب في دائرة الانفصال وغياب الخضوع⁽¹⁾، وعندما يسود العنصر المغترب لدافع الأنا فإنه يكون أقل اهتماما بالحفاظ على الاتجاه الملائم للآخرة بصورة أكثر من التعبير عن ميوله المغتربة، وفي حالة الفاعلية فإنه سوف يميل لأن يعمل بعدوانية نحو الآخر، وإذا كان ميالا لعدم الفاعلية فإنه لا يميل للعدوان، ولكنه يتجنب التعرض للتوقعات الغير متجانسة مع الجانب الآخر، ويميل لأن يكون منسحبا في حالة العلاقات المتطرفة في تفككها.

وقد تجمع الحالات الأربع بالقول بان كل من التسلطية والخضوع ما هي إلا تغييرات عن الحاجة للاعتماد القسري، ولتجنب فقدان الآخر، في حين أن العدوانية والانسحاب القسري يوجهان بالحاجة القسرية للاستقلال، وأخيرا عندما يسود العنصر

⁽³⁾-إبراهيم زكرياء، مرجع سابق، ص 102.
⁽¹⁾-إبراهيم زكرياء، زيد، مرجع سابق، ص 88.

المغترب يكون النمط الفعال عدم القابلية للإصلاح والذي يشير للسخرية من القواعد والقوانين في حد ذاتها⁽²⁾، حيث يكون المرء متجها لعمل شيء ما حوله ويميل النمط الفعال في الجانب الآخر للمراوغة للمجاراة مع النمط المعياري ويبدل جهده لتجنب المواقف التي يمكن للتوقعات أن تتحقق، وللجزاء أن يطبق فيها⁽¹⁾.

وقد خالص بارسونز من تحليله لأنماط الانحراف بثمانية أنماط للتكيف المغترب بدلا من أربعة أنماط عند ميرتون وهي⁽²⁾:

- العدوانية.
- الانسحاب.
- التسلط.
- الخضوع.
- التنفيذ القسري.
- المراعاة الكاملة (طقوسة ميرتون).
- عدم القابلية للانصلاح.
- المراوغة.

(2) - النوري عيسى ، مرجع سابق 102.

(1) - اسكندر نبيل رمزي ، مرجع سابق 78.

(2) - سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 305.

9- الاتجاهات التحليلية لدراسة الاغتراب:

تمهيد:

بالإضافة للاستخدامات الكيفية لمفهوم الاغتراب، تبلورت في التراث السوسيولوجي لموضوع الاغتراب استخدامات حديثة متأثرة بالاتجاه التحليلي في علم الاجتماع، وهي الاستخدامات التي تهدف إلى التعرف على المعنى الأساسي لمفهوم الاغتراب والمعاني المشتقة من هذا المعنى الأساسي، وقد حمل لواء هذا الاتجاه بعض علماء الاجتماع أمثال: ملفن سيمان، وانتوني دافدز، وبلونر... إلخ، وهم الذين أهتموا بالأبعاد المتعددة للاغتراب ولكن على أساس أن كل بعد يحوي فكرة معينة توجه مسلك البحث في موضوع الاغتراب.

9-1- المفاهيم والقضايا الأساسية للاتجاه التحليلي:

تعقب سيمان المعاني المختلفة لمفهوم الاغتراب في التراث الفكري والسيكولوجي والسوسيولوجي، مستهدفاً بذلك تصنيف المعاني المختلفة للمفهوم والتي حصرها في خمسة أنواع متميزة من منظور الفاعل، وهي فقدان السيطرة واللامعيارية واللامعنى والانعزال الاجتماعي والانعزال النفسي.⁽¹⁾

- وأول هذه المعاني هو **فقدان السيطرة** وهنا يشير الاغتراب لشعور الفرد بأنه لا يستطيع التأثير على المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها.
- وثاني هذه المعاني هو **اللامعنى** (فقدان المعنى) وهنا يشير الاغتراب لشعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشداً أو موجهاً للسلوك والاعتقاد.
- والمعنى الثالث هو **اللامعيارية** وهنا يعني الاغتراب شعور الفرد بأن الوسائل المشروعة مطلوبة وأنه في حاجة لها لإنجاز الأهداف.

(1) - أحمد أبو زيد ، مرجع سابق، ص 197.

- والمعنى الرابع هو الانعزال الاجتماعي والاغتراب هنا يشير لشعور الفرد بالغربة والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع.
- والمعنى الخامس هو الاغتراب الذاتي وهنا يشير الاغتراب لشعور الفرد بعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافئة ذاتيا.
- والمغترب له سمات هي⁽¹⁾:
- ألم الانزعاج والقلق.
- الشعور بالانفصال عن الجماعة أو الانعزال عن معايير الجماعة.
- الشعور بفقدان الدليل أو بعدم وجود أهداف معينة.
- نقص الحرية الذاتية، ونقص التنبؤ، ونقص المعايير العامة، ونقص الغايات المشتركة.

9-2- مظاهر الاغتراب في ضوء الاتجاه التحليلي:

أن مثل هذه الدراسة تثير أسئلة عديدة منذ البداية تتعلق بمن المغترب؟ والاغتراب عن ماذا؟ وبماذا ينتج الاغتراب؟ وماهي أسبابه ومصادره الاجتماعية؟ فكل هذه الأسئلة تطرح نفسها أمام الباحث في موضوع الاغتراب، والإجابة عليها تقتضي جهدا غير عادي وتقتضي مجالا واسعا للمناقشة والتحليل وربما كان ذلك بعينه ما دفع بسيمان لتحديد مدخله منذ البداية بمعالجة الاغتراب من وجهة نظر شخصية الفاعل⁽²⁾ أي أنه يتناوله من وجهة نظر نفسية اجتماعية على أساس أن ذلك قد يساعد على تحديد الشروط أو الحالات الاجتماعية التي تنتج هذه الأنواع الخمس للاغتراب وتعيين نتائجها، باعتبارها نتائج سلوكية ومن أجل ذلك أجتهد بسيمان للإجابة على السؤال المتعلق: بأين؟ وكيف وجد أي من الاستعمالات الخمس في الفكر السوسيولوجي؟، كما أنه اهتم بإيضاح قضية المعنى في كل حالة ومن ثم كان تركيزه بنوع خاص على الأفكار المتعلقة بالتوقع

(1) عاطف غيث، مرجع سابق، ص 123.

(2) المرجع نفسه، ص 125.

والقيمة ولهذا سوف نعرض لكل من المعاني الخمسة، وهي التي عمل سيمان على تحليلها سوسولوجيا.

9-2-1- فقدان السيطرة:

يشير معنى هذا المصطلح عند سيمان للاغتراب المتمثل في شعور الفرد بأنه لا يستطيع التأثير على المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، بمعنى أن الشخص عنده توقع ضئيل ومحدود بأنه يستطيع من خلال سلوكه أن يحقق أي مكافأة شخصية يبحث عنها⁽¹⁾.

9-2-2- اللامعنى:

وفيما يتعلق باغتراب اللامعنى، « اللامعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد، حينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرار غير متوفرة »، وعدم توفر المستويات الدنيا المطلوبة في وضوح الرؤية في اتخاذ القرار، وعندما لا يكون عارفا ومدركا لما يعتقد فيه (أي أنه لم يستطع أن يتصرف بذكاء ومقدرة وبنظرة عميقة)⁽²⁾.

إذ أن حياة الفرد في عالم معقول واضح قد يكون ضروريا من أجل السيطرة وأن عدم وضوح أو لا معقولية الأمور من المحتمل أن يؤدي إلى نمو توقعات عالية من أجل السيطرة الخارجية ومن ثم يؤدي لدرجة عالية من فقدان السيطرة.

9-2-3- اللامعيارية:

الأنومي والذي يشير به لحالة اللامعيارية الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد، إذ أن هذه المعايير ليست مؤثرة ولا تؤدي وظيفتها كقواعد للسلوك، يشير للحالة التي تغرق فيها القيم العامة في خضم الرغبات الخاصة الباحثة عن الإشباع بأي وسيلة⁽³⁾.

(1)- عادل بن محمد بن محمد العقيلي، مرجع سابق، ص 52.

(2)- المرجع نفسه، ص 56.

(3)- المرجع نفسه، ص 56.

« أن التأكيد على هذا الموضوع يعكس سوء النظام الاجتماعي فمصطلح الأنوميا الاجتماعي الذي تغمر فيه القيم العامة تحت وطأة الاهتمامات الخاصة، التي تبحث عن الإشباع بأي وسيلة يكون لها تأثيرا فعالا، والتي تنجم عن المنافسة العالية والمجتمع الحضري الجزأ فخرتنا تعيش هنا في مناخ من عدم الثقة المتبادلة، وما يمكن القول بأنه لا يؤدي إلى استقرار العلاقات البشرية.. ونفس هذا المجتمع الذي ينتج هذا الشعور بالاغتراب والغربة يولد لدى الكثيرين حنينا لإعادة الأمن والتأكيد »⁽¹⁾.

وفي مثل هذا المجتمع (المجتمع الذي يعاني من الأنومي) يميل الناس للتأكد على الغيبية وأعمال الحظ والصدفة ومنثم يشير سيمان بقوله: « من الواضح أن الفكرة العامة عن الأنومي هي أنها جزءا مكملا لفكرة الاغتراب وأنه يعتمد على أفكارنا عن المتوقع »⁽²⁾ وعليه عرف سيمان اللامعيارية بأنها الحالة التي يوجد فيها توقع عال بأن السلوك الغير مجازي اجتماعيا مطلوب وضروري لتحقيق الأهداف المعطاة.

9-2-4- الانعزال الاجتماعي:

يشير النوع الرابع للاغتراب عند سيمان للانعزال الاجتماعي، وهذا الاستخدام أكثر شيوعا في وصف الحالة العقلية حيث يشير لانفصال ما هو عقلي عن المعايير الثقافية الشائعة⁽³⁾، ومنه الانعزال بمفهوم سيمان على أنه غربة الفرد عن أهداف وقيم مجتمعه السائدة، وذلك ما أكده سيمان بإشاراتة إلى أن الشخص أصبح مغتربا عن مجتمعه والثقافة التي يحملها، ومن ثم نجد أن لهذا النوع من الاغتراب تشير للعزلة والابتعاد عن المجتمع⁽⁴⁾.

9-2-5- اغتراب الذات:

يشير سيمان إلى ان المتغير الأخير قابل للتمييز في التراث، هو الاغتراب بمعنى غربة الذات، وهو يشير به لعدم القدرة على إيجاد الأنشطة المكافأة ذاتيا،نقصد

(1) - الابراهيم فائقة يوسف، مرجع سابق، ص 122.

(2) - أحمد أبو زيد، مرجع سابق، ص 171.

(3) - عاطف غيث، مرجع سابق، ص 205.

(4) - اسكندر نبيل رمزي، مرجع سابق، ص 177.

بالاغتراب أسلوب الخبرة، حيث نجد الشخص ذاته كغريب، بالقدر الذي يمكن القول فيه بأنه يصبح مغتربا عن ذاته.

وأخيرا يكون الناس غرباء عن بعضهم البعض طالما أن كلا منهم يحاول كتمان أن يجعل من الآخر أداة له، وهم الذين عندما تكتمل الدائرة يجعل كل واحد من نفسه أداة أو آلة ثم يغترب عنها⁽¹⁾.

(1) -سيد علي شتا، مرجع سابق، ص 187.